

الودائع ، فلقيت البراء فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله ؟ فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء اسناده جيد ولم يخرجوه . وما يتعلق بالأمانة الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلوا من القرآن وعلوا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الحبل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبها وليس فيه شيء - قال ثم أخذ حصي فدحرجه على رجله قال - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل ما أجله وأظرفه وأعقله وما فى قلبه حبة خردل من إيمان ، ولقد آتى على زمان وما أبلى أياكم بايعت إن كان مسلماً ليردنه على دينه ، وإن كان نصرانياً أو يهوديا ليردنه على ساعيه فأما اليوم فما كنت أباع منكم إلا فلانا وفلانا . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الأعمش به . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » هكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنها ، وقد قال الطبرانى فى مسنده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصرى حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حنبل عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » فزاد فى الاسناد ابن حنبل وجعله فى مسند ابن عمر رضى الله عنهما وقد ورد النهى عن الحلف بالأمانة قال عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي إسحاق الشيبانى عن خناس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت فى كلامي لا والأمانة فجعل زياد ييكى وييكى فظننت أنى أوتيت أمراً عظيماً فقلت له أ كان يكره هذا ؟ قال : نعم ، كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهى وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائى عن ابن بريده عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالأمانة فليس منا » تفرد به أبو داود رحمه الله ، وقوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى إنما حمل بنى آدم الأمانة وهى التكليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويبيطنون الكفر متابعين لأهله (والمشركين والمشركات) وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى ويرحم المؤمنين من الخلق الذى آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته (وكان الله غفوراً رحيماً) آخر تفسير سورة الأحزاب والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة سبأ وهى مكة ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلْجِئُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾

غير تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق فى الدنيا والآخرة لأنه النعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة ،

الملك لجميع ذلك الحاكم في جميع ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) ولهذا قال تعالى ههنا (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) أي الجميع ملكه وعييده وتحت تصرفه وقهره كما قال تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) ثم قال عز وجل (وله الحمد في الآخرة) فهو المعبود أبداً، الحمود على طول المدى وقوله تعالى (وهو الحكيم) أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (الخير) الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء وقال مالك عن الزهري: خير بخلقه حكيم بأمره، ولهذا قال عز وجل (يعلم ما يبلغ في الأرض وما يخرج منها) أي يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض والحب اللبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته (وما ينزل من السماء) أي من قطر ورزق، وما يعرج فيها أي من الأعمال الصالحة وغير ذلك (وهو الرحيم الغفور) أي الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ * وَيَرَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا أَلْعَلَّمَهُ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع العاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعدا، فأجدها في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى (ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم معجزين) والثانية هذه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) فقال تعالى (قل بلى وربى لتأتينكم) ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا كتاب مبين) قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أى الجميع مندرج تحت علمه فلا تخفى عليه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فانه بكل شيء علم. ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى (ليجزى الدين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين) أى سعوا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسوله (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) أى لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال عز وجل (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وقال تعالى (أم نجعل الذى آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)

وقوله تعالى (ويرى الذين آمنوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق) هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذى كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضاً (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) يقال أيضاً (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث) (ويرى الذين آمنوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد) العزيز هو النجى الجناب الذى لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شيء. وغلبه الحميد فى جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو الحمود فى ذلك كله جل وعلا

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْبَشُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مُمَزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ * أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطْ عَلَيْهِم كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبشكم إذا مزقتم كل ممزق) أى تفرقت أجسادكم فى الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق (إنكم) أى بعد هذا الحال (لفي خلق جديد) أى تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو فى هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى إليه ذلك أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على العتوه والمجنون ولهذا قالوا (أفترى على الله كذبا أم به جنة) قال الله عز وجل راداً عليهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) أى ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذى جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء (فى العذاب) أى الكفر المفضى بهم إلى عذاب الله تعالى (والضلال البعيد) من الحق فى الدنيا ثم ، قال تعالى منبهاً لهم على قدرته فى خلق السموات والأرض فقال تعالى (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) أى حينما توجهوا وذهبوا فالسما مطة عليهم والأرض تحتهم كما قال عز وجل (والسماء بين يديها أيدي وإننا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون) : قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) قال إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض . وقوله تعالى (إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء) أى لو شئنا لقلنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن تؤخر ذلك لعلنا وعفونا ثم قال (إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب) قال معمر عن قتادة (منيب) تائب ؟ وقال سفيان عن قتادة: النبي المقبل إلى الله تعالى أى إن فى النظر إلى خلق السموات والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاء إلى الله ، على قدرة الله تعالى على بعث الاجساد ووقوع المعاد لأن من قدر على خلق هذه السموات فى ارتفاعها واتساعها وهذه الأرضين فى انخفاضها ، وأطوالها وأعراضها إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام ، كما قال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) وقال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أُوِّي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْأَلْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَةً وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوى العدد والعدد ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذى كان إذا سبغ به تسبغ معه الجبال الراسيات . الصم الشاعحات ، وتقف له الطيور السارحات : والغايات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع اللغات . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبى موسى الأشعري رضى الله عنه يقرأ من الليل فوق فاستمع لقراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » وقال أبو عثمان

الهندي ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا وتر أحسن من صوت أنى موسى الأشعري رضى الله عنه ، ومعنى قوله تعالى (أوبى) أى سبحى قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو مسيرة أنه بمعنى سبحى بلسان الحبشة وفي هذا نظر فان التأويب فى اللغة هو الترجيع فأمرت الجبال والطيور أن ترجع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى فى كتابه - الجمل - فى باب النداء منه (يا جبال أوبى معه) أى سبرى معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله ، والإسآد سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جداً لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ فى اللغة لكنه بعيد فى معنى الآية ههنا والصواب أن المعنى فى قوله تعالى (أوبى معه) أى رجعى مسبحة معه كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى (وألنا له الحديد) قال الحسن البصرى وقتادة والأعمش وغيرهم كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الحيوط ولهذا قال تعالى (أن اعمل سابعات) وهى الدرود قال قتادة وهو أول من عملها من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا طلى بن الحسين حدثنا ابن مساعة حدثنا ابن ضمرة عن ابن شاذب قال : كان داود عليه السلام يرفع فى كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولأهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها بنى إسرائيل خبز الحوارى (وقدر فى السرد) هذا إرشاد من الله تعالى لنيه داود عليه السلام فى تعليمه صنعة الدرود ، قال مجاهد فى قوله تعالى (وقدر فى السرد) لاندق المسار فيقلق فى الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر ، وقال الحكم بن عيينة لا تغلظه فيقصم ولا تدقه فيقلق ، وهكذا روى عن قتادة وغير واحد وقال طلى بن أبى طلحة عن ابن عباس : السرد : حلق الحديد . وقال بعضهم يقال درع مسرودة إذا كانت مسمورة الخلق واستشهد بقول الشاعر :

وعليهما مسرودتان قضاها داود أو صنع السوانغ تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عسكراً فى ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق إسحاق بن بشر وفيه كلام عن أبى الياس عن وهب بن منبه ما مضمونه أن داود عليه السلام كان يخرج متنكراً فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحداً إلا أثنى عليه خيراً فى عبادته وسيرته وعدله عليه السلام ، قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكاً فى صورة رجل فلقبه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كما كان يسأل غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولأتمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملاً قال ما هى ؟ قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعنى بيت المال فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل فى الدعاء أن يعلم عملا بيده يستغنى به ويعنى به عياله فألان الله عز وجل له الحديد وعلمه صنعة الدرود فعمل الدرود وهو أول من عملها فقال الله تعالى (أن اعمل سابعات وقدر فى السرد) يعنى مساميراً الخلق ، قال وكان يعمل الدرع فإذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلتها واشترى بثلتها ما يكفيه وعياله ، وأمسك الثلث يتصدق به يوماً بيوم إلى أن يعمل غيرها وقال إن الله تعالى أعطى داود شيئاً لم يعطه غيره من حسن الصوت إنه كان إذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش إليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفروا ما صنعت الشياطين الزامير والبرابط والصنوج إلا طلى أصناف صوته عليه السلام وكان شديد الاجتهاد ، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ فى الزامير ، وكان قد أعطى سبعين زمارة فى حلقة ، وقوله تعالى (واعملوا صالحاً) أى فى الذى أعطاكم الله تعالى من النعم (إنى بما تعملون بصير) أى مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم لا يخفى على من ذلك شيء .

﴿ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوهاَ شَهْرًا وَرَوْحًا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الريح له

تحمل يساطه غدوها شهر ورواحها شهر . قال الحسن البصرى كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتعدى بها ويذهب رانحا من اصطخر فيبيت بكابل ، وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع ، وبين اصطخر وكابل شهر كامل للمسرع . وقوله تعالى (وأسلنا له عين القطر) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراسانى وقتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر النحاس قال قتادة وكانت باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام ، قال السدى وإنما أسيلت له ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) أى وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه أى بقدره وتسخيرهم لمشيئته ما يشاء من البنائيات وغير ذلك (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أى ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة (نذقه من عذاب السعير) وهو الحريق . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا فقال حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزهراء عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الحشنى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحاون ويظعنون » رفعه غريب جدا . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حرمة حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بجير عن ابن أنعم أنه قال : الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعليهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض وصنف حيات وكلاب . قال بكر بن مضر ولا أعلم إلا أنه قال حدثني أن الإنس ثلاثة أصناف ، صنف يظلمهم الله بظلم عرشه يوم القيامة . وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعنى ابن الفضل عن إسماعيل عن الحسن قال الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان . وقوله تعالى (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وصدرة وقال مجاهد المحاريب ببيان دون القصور . وقال الضحاك هي المساجد وقال قتادة هي القصور والمساجد وقال ابن زيد هي المساكن . وأما التماثيل فقال عطية العوفى والضحاك والسدى: التماثيل الصور . قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج وقوله تعالى (وجفان كالجواب وقدور راسيات) الجواب جمع جابية وهي الحوض الذى يجبي فيه الماء كما قال الأعشى ميمون بن قيس :

تروح على آل المخلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (كالجواب) أى كالجوبة من الأرض وقال العوفى عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم . والقدر الراسيات أى الثابتات فى أما كنها لا تتحرك ولا تتحول عن أما كنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أنها فيها منها وقوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) أى وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم به عليكم فى الدين والدنيا ، وشكرا مصدر من غير الفعل أو أنه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولسانى والضمير المحجبا

قال أبو عبد الرحمن السلمى : الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير عمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد رواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظى قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل . وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولا وعملا . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعنى ابن سليمان عن ثابت البنانى قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتى عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى فعمرتهم هذه الآية (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور) وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ

أنه قال « إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى » . وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن النكدر عن أبيه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل ترك الرجل قفراً يوم القيامة » وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثراً غريباً مطولاً جداً ، وقال أيضاً حدثنا أباي حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد قبيصة بن إسحق الرقي قال : قال فضيل في قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) قال داود يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك ؟ قال « الآن شكرتني حين علمت أن النعمة مني » وقوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) إخبار عن الواقع

﴿ فَلَمَّا فَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة فانه مكث متوكئاً على عصاه وهي منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحو من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ضعفت وسقطت إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك ؟ فتقول كذا فيقول لأى شيء أنت فان كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك ، قالت الحروب قال لأى شيء أنت ؟ قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الإنسان أن الجن لا يعلمون الغيب ففتحها عصاً فوقاً عليها حولا ميتا والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة فتبينت الإنسان أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين » قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث إبراهيم بن طهمان به وفي رفعه غرابية ونكارة والأقرب أن يكون موقفاً وعطاء بن أبى مسلم الحراساني له غرابيات وفي بعض حديثه نكارة . وقال السدي في حديثه نكارة وقال السدي في حديث ذكره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم قال : كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحرر في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرا به فأدخله في المرة التي توفي فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا ينبت الله في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وإن كانت تنبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الحروب فسالها ما اسمك قالت أنا الحروب قال ولأى شيء نبتت قالت نبتت لهذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخرجه وأناحي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فزرعها وغرسها في حائط له ثم دخل الحراب فقام يصلى متكئاً على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب وكان الحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألسنت جلدنا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فرولم يكن شيطان ينظر

إلى سليمان عليه السلام في الحراب إلا احترق فمرو ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فأخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحو عليه فأخرجوه. ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرض ولم يعلموا منذ مات فوضعوا الأرض على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه . فمكثوا يدينون له من بعد موته حولاً كاملاً ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ؛ وذلك قول الله عز وجل (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأرض لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكننا سننقل إليك الماء والطين قال فهم يقولون إلهنا ذلك حيث كانت ، قال ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الحشب ! فهو ما تأتينا به الشياطين شكراً لها ، وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب ، وقال ابن وهب وأصعب بن الفرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تبارك وتعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال : قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال : يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سوية فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير وليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه ، قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله عز وجل دابة الأرض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتاً ، فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال أصعب بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر ، وذكر غير واحد من السلف نحووا من هذا والله أعلم

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بُدَّةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشتهم واتساع أرزاقهم وزروعهم ونمازهم وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والفرق في البلاد أيدي سبأ شدر مدر كما سيأتي إن شاء الله تعالى تفصيله وبيانه قريباً وبه الثقة ، قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن وعلة قال سمعت ابن عباس يقول إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بل هو رجل ولده عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة فأما البجانيون فذبح وكندة والأزد والأشعريون وأمار وحير ، وأما الشامية فلنخم وجذام وعاملة وغسان » ورواه عن عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا إسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب القصد والأمم ، بمعرفة أصول أساب العرب والعجم - من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه . وقد روى نحوه من وجه آخر وقال الإمام أحمد أيضاً وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو جناب يحيى بن أبي حية الكلبي عن

ابن هارون عن عروة عن فروة بن مسيك رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أقاتل بمقبل قومي مدبرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم » فلما وليت دعاني فقال « لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام » فقلت يارسول الله أرأيت سبأ وادهو أو جبل أو ماهو ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا بل هو رجل من العرب ولد له عشرة فتيا من ستة وتشاءم أربعة تيامن الأزدي والأشعريون وحمير وكندة ومدحج وأعمار الدين يقال لهم بجيلة وخنعم ، وتشاءم لحم وجذام وعاملة وغسان » وهذا أيضا إسناد حسن وإن كان فيه أبو جناب الكلبي وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العنقري عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هاني المرادي عن عمه أو عن أبيه - شك أسباط - قال قدم فروة بن مسيك رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره (طريق أخرى) لهذا الحديث : قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني ابن لميعة عن توبة بن نمير عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بافريقية فقال يوما ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها فقال علي بن أبي رباح كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطيفي رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفأقاتلهم فقال ﷺ « ما أمرت فيهم بشيء بعد » فأنزلت هذه الآية (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) الآيات فقال له رجل يارسول الله ماسبأ ! فذكر مثل هذا الحديث الذي قبله أن رسول الله ﷺ سئل عن سبأ ؟ ماهو أبله أم رجل أم امرأة ؟ قال ﷺ « بل رجل ولده عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة أما اليمنيون فمدحج وكندة والأزد والأشعريون وأعمار وحمير غير ما حلها وأما الشام فلنعم وجذام وغسان وعاملة » فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة والسورة مكية كلها والله سبحانه وتعالى أعلم

(طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سبرة النخعي فروة بن مسيك الغطيفي رضى الله عنه قال : قال رجل يارسول الله أخبرني عن سبأ ماهو أرض أم امرأة ؟ قال ﷺ « ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد فتيا من ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلنعم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومدحج وحمير وأعمار » فقال رجل ما أعمار ؟ قال ﷺ « الذين منهم خنعم وبجيلة » ورواه الترمذي في جامعه عن أبي كريب وعبد بن حميد قال حدثنا أبو أسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب . وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الليث بن سعد عن موسى بن علي بن يزيد بن حصين عن تميم الهاربي رضى الله عنه قال إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ فذكر مثله فقوى هذا الحديث وحسن . قال علماء النسب - منهم محمد بن إسحاق - اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإنما سبأ لأنه أول من سبأ في العرب وكان يقال له الرائش لأنه أول من غتم في الغزو فأعطى قومه فسمى الرائش ، والعرب تسمى المال ريشا ورياشا . وذكروا أنه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه المتقدم وقال في ذلك شعرا :

سيملك بعدنا ملكا عظيما	نبي لا يرخص في الحرام	ويملك بعده منهم ملوك
يدينون القياد بكل دامي	ويملك بعدهم منا ملوك	يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي	تقى اغتبت خير الأنام	يسمى أحمداً ياليت أنى
أعمر بعد مبعثه بعام	فأعضده وأحبوه بنصري	بكل مدحج وبكل رام

مق يظهر فكونوا ناصريه ومن يلقاه يبلغه سلامي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب - الاكليل - واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه من سلالة إرم ابن سام بن نوح واختلفوا في كيفية اتصال نسبة به على ثلاثة طرائق (والثاني) أنه من سلالة عابر وهو هود عليه

الصلاة والسلام واختلفوا أيضا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا (والثالث) أنه من سلالة إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا . وقد ذكر ذلك مستقصى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النخعي رحمه الله تعالى عليه في كتابه المسمى - الانباه على ذكر أصول القبائل الرواه - ومعنى قوله عليه السلام « كان رجلا من العرب » يعنى العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح ، وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم . ولكن في صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أسلم ينتقلون فقال « ارموا بنى إسماعيل فان أباكم كان راميا » فأسلم قبيلة من الأنصار - والأنصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ - نزلوا يثرب لما تفرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام ، وإنما قيل لهم غسان بما نزلوا عليه قيل باليمن ، وقيل إنه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

إما سألت فانا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسان

ومعنى قوله عليه السلام « ولد له عشرة من العرب » أى كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لأنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر كما هو مقرر مبين في مواضع من كتب النسب . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم « قتيامن منهم ستة وتشام منهم أربعة » أى بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من نزح عنها إلى غيرها . وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع اليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الأقدم فبنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذيك الجبلين فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من البكرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة أن المرأة كانت تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكنل أوزنيل وهو الذى تخترق فيه الثمار فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف لكثرة ونضجه واستوائه ، وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، ويعرف بسد مأرب وذكر آخرون أنه لم يكن يلد لهم شيء من الدباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الحوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدهم ويعبدهم كما قال تبارك وتعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) ثم فسرها بقوله عز وجل (جنتان عن يمين وشمال) أى من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) أى غفور لكم إن استمررتم على التوحيد . وقوله تعالى (فأعرضوا) أى عن توحيد الله وعبادته وشكركه على ما أنعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال المهدد لسليمان عليه الصلاة والسلام (وجئتك من سبأ نبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السيل فهم لا يهتدون) وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبيا ، وقال السدي أرسل الله عز وجل إليهم اثني عشر ألف نبى والله أعلم . وقوله تعالى (فأرسلنا عليهم سيل العرم) المراد بالعرم المياه ، وقيل الوادى وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته مثل مسجد الجامع وسعيد كرز ، حكى ذلك السهيلي . وذكر غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك أن الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرذ فعبته قال وهب بن منبه وقد كانوا يجردون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرددون عنده السنابير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنابير وولجت إلى السد فتعبته فانهار عليهم وقال قتادة وغيره الجرذ هو الخلد تقبت أسفله حتى إذا ضعف ووهى وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادى وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك ونضب الماء عن

الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيست وتخطمت وتبدلت تلك الأشجار الثمرة الأنيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى (وبدلناهم بحيتهم جنتين ذواتى أكل حُط) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقتادة والسدى وهو الأراك وأكلة البربر (وأثل) قال العوفي عن ابن عباس هو الطرفاء . وقال غيره هوشجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمرة والله أعلم . وقوله (وشيء من سدر قليل) لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر (قال وشيء من سدر قليل) فهذا الذى صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة والناظر الحسنة والظلال العميقة والأنهار الجارية تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذى الشوك الكثير والتمر القليل ، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ، ولهذا قال تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور) أى عقابناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب إلا الكفور . وقال الحسن البصرى صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور . وقال طاوس لا يناقش إلا الكفور . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملى حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو اليباء عن هشام بن صالح التغلبي عن ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضى الله عنه قال : جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في العيشة والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة ؟ قال لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينقصه إياها

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهنيئ الرغيد ، والبلاد الرخيه ، والأماكن الآمنة والقرى المتواضعة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمر ، ويقبل في قرية وبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم ولهذا قال تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) قال وهب بن منبه هي قرى بصنعاء ، وكذا قال أبو مالك ، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدى وابن زيد وغيرهم يعنى قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواضعة ، وقال العوفي عن ابن عباس القرى التي باركنا فيها بيت المقدس ، وقال العوفي عنه أيضا هي قرى عربية بين المدينة والشام (قرى ظاهرة) أى بيئنا واضحة يعرفها المسافرون يقبلون في واحدة وبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى (وقدرنا فيها السير) أى جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) أى الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارا (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) وقرأ آخرون (بعدين أسفارنا) وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والخواف ، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وثالثها وفومها وعدسها ووصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسلوى وما يشتهون من ما كل ومشرب وملابس مرتفعة ولهذا قال لهم (أنستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بنضب من الله) وقال عز وجل (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) وقال تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) . وقال تعالى في حق هؤلاء (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) أى بكفرهم (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) أى جعلناهم حديثا للناس وسمرآ يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيئ تفرقتوا في البلاد

ههنا وههنا ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا وتفرقوا شذر منذر
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول
سمعت عكرمة يحدث بحدِيث أهل سبا قال (لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال - إلى قوله
تعالى - فأرسلنا عليهم سيل العرم) وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشيء
من أخبار السماء . فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال وأنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلمهم
فلم يدر كيف يصنع لأنه كان له مال كثير من عقار فقال لرجل من بنيه وهو أعزهم أخوالا يا بني إذا كان غدا وأمرتك
بأمر فلا تفعله فإذا اتهرت فاتهرك فاتهرني ، فإذا لطمتك فالطمني ، قال يا أبت لا تفعل إن هذا أمر عظيم وأمر شديد ،
قال يا بني قد حدث أمر لا بد منه فلم يزل به حتى وافاه على ذلك ، فلما أصبحوا واجتمع الناس قال يا بني أفعَل كذا
وكذا فأبى فاتهره أبوه فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فلطمه فوثب على أبيه فلطمه فقال ابني يلطمني ؟
على الشفرة ، قالوا ما تصنع بالشفرة ؟ قال أذبحه ، قالوا تريد أن تذبح ابنك : لطمه أو اصنع ما بدا لك قال فأبى قال
فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خدمنا ما بدالك فأبى إلا أن يذبحه قالوا فلتموتن قبل أن تذبحه
قال فاذا كان الحدِيث هكذا فإني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ابني فيه اشتروا مني دوري اشتروا مني أرضي
فلم يزل حتى باع دوره وأرضه وعقاره فلما صار الثمن في يده وأحزره قال : أي قوم إن العذب قد أظلمكم وزوال
أمركم قد دنا فمن أراد منكم دارا جديدا وحى شديدا . وسفرا بعيدا . فليلحق بعمان . ومن أراد منكم الحمر والحجر
والعصير . وكلمة قال إبراهيم لم أحفظها - فليلحق ببصرى ومن أراد الراسخات في الوحل : المطمات في المحل . المتعمات
في القحل فليلحق يثرب ذات نخل فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان . وخرجت غسان إلى بصرى . وخرجت
الأوس والحزرج وبنو عمان إلى يثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عمان هذا مكان صالح لا نبغى
به بدلا فأقاموا به فسموا لذلك خزاعة لأنهم انخرعوا من أصحابهم واستقامت الأوس والحزرج حتى نزلوا المدينة
وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى . هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء
اليمين وكبراء سبا وكهانهم وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول
من خرج من بلاد اليمن بسبب استشعاره بارسال العرم عليهم فقال : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني
به أبو يزيد الأنصاري أنه رأى جرزا يحضر في سد مأرب الذي كان يجبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم
فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فأمر أصغر ولده إذا غلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه
ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهي فيها أصغر ولدى وعرض أمواله . فقال أشرف من أشرف اليمن
اغتنموا غضبة عمرو فاشترؤا منه أمواله وانتقل هو في ولده وولد ولده ، وقالت الأسد لا تتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا
أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربهم عك وكانت حربهم سجلا في ذلك
يقول عباس بن مرداس السلمي رضى الله عنه :

وعك بن عدنان الدين تلعبوا بفسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت من قصيدة له . قال ثم ارتحلوا عنهم فتنفروا في البلدان فنزل آل جصنة بن عمرو بن عامر الشام ،
ونزلت الأوس والحزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مرا . ونزلت أزد السراة السراة ، ونزلت أزد عمان عمان : ثم أرسل
الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات . وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو ما
ذكر محمد بن إسحاق إلا أنه قال فأمر ابن أخيه مكان ابنه - إلى قوله - فباع ماله وارتحل بأهله فتنفروا رواه ابن أبي حاتم
وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد أخبرنا سلمة عن ابن إسحاق قال يزعمون أن عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا
فرأى في كهنته أن قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم . فقال لهم إني قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذاهم بعيد
وحمل شديد . ومزاد حديد : فليلحق بكاس أو كرود . قال فكانت وادعة بن عمرو . ومن كان منكم ذاهم مدن . وأمر

دعن ، فليلحق بأرض شن ، فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم بارق ، ومن كان منكم يريد عيشا آتيا ، وحرما آمنا فليلحق بالأرزبن فكانت خزاعة ، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، الطعيات في الحبل ، فليلحق يثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج وهما هذان الحيان من الأنصار ومن كان منكم يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا ، وملكا وتأميرا ، فليلحق بكوثى وبصرى ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق . قال ابن إسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت في كهانتها ذلك فأنه أعلم أى ذلك كان وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي أما غسان فلحقوا بعمان فزقهم الله كل ممزق بالشام ، وأما الأنصار فلحقوا يثرب ، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة ، وأما الأزدي فلحقوا بعمان فزقهم الله كل ممزق . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، ثم قال محمد بن إسحق حدثني أبو عبيدة قال : قال الأعشى أعشى بن قيس بن ثعلبة وامه ميمون بن قيس : وفي ذلك للوثى أسوة * ومأرب قفى عليها العرم * رجاء بنته لهم حمير * إذا جاء مأوهم لم يرم فأروى الزروع وأعنا بها * على سعة مأوهم إذ قسم * فصاروا أيادي ما يقدر * ن منه على شرب طفيل فطم وقوله تعالى (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى إن في هذا الذى حل بهؤلاء من النعمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العاقبة عقوبة على ما ارتكبه من الكفر والآثام لعبرة ودلالة لكل عبد صابر على المصائب شكور على النعم قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى قالأ أخبرنا سفيان عن أبي إسحق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر ، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر ، يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته » . وقد رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي إسحق السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه « عجبا للمؤمن لا يقضى الله تعالى له قضاء إلا كان خيرا له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » . قال عبد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) قال كان مطرف يقول : نعم العبد الصبار الشكور الذى إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشد والهدى فقال (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره هذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال (أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) وقال (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) والآيات في هذا كثيرة ، وقال الحسن البصرى لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما وقال إذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أصعب وأضعب وكان ذلك ضما من إبليس فأنزل الله عز وجل (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) فقال عند ذلك إبليس لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح أعده وأمنيه وأخدعه ، فقال الله تعالى وعزى وجلالى لا أحجب عنه التوبة ما لم يفرغر بالموت . ولا يدعونى إلا أجبته ، ولا يسألنى إلا أعطيته ، ولا يستعمرنى إلا غفرت له رواه ابن أبي حاتم . وقوله تبارك وتعالى (وما كان له عليهم من سلطان) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى من حجة وقال الحسن البصرى والله ما ضربهم بصا ولا أكرههم على شيء وما كان إلا غرورا وأمانى دهاهم إليها

فأجابوه . وقوله عز وجل (إلا لتعلم من بالآخرة ممن هو منها في شك) أى انما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك وقوله تعالى (وربك على كل شيء حفيظ) أى ومع حفظه ضل من ضل من اتباع إبليس ، وبحفظه وكلاءته سلم من المؤمنین أتباع الرسل

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَلِيمٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

بين تبارك وتعالى أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أى من الآلهة التى عبدت من دونه (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) كما قال تبارك وتعالى (والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطير) . وقوله تعالى (وما لهم فيها من شرك) أى لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشركة (وما له منهم من ظهير) أى وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به فى الأمور ، بل الخلق كلهم قراء إليه عبيد لديه قال قتادة فى قوله عز وجل (وما له منهم من ظهير) من عون يبينه بشيء . ثم قال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أى لمظلمته وجلاله وكبريائه لا يجترىء أحد أن يشفع عنده تعالى فى شيء إلا بعد إذنه له فى الشفاعة كما قال عز وجل (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وقال جل وعلا (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ولهذا ثبت فى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم ، وأكبر شفيع عند الله تعالى أنه حين يقوم المقام الممود ليشفع فى الخلق كلهم أن يأتى ربهم لفصل القضاء قال « فأسجد لله تعالى فيدعى ما شاء الله أن يدعى ، ويفتح على بمحامد لا أحصيا الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع » الحديث بتامه . وقوله تعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) وهذا أيضاً مقام رفيع فى العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرددوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشى ، قاله ابن مسعود رضى الله عنه ومسروق وغيرهما (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أى زال الفزع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي وإبراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة فى قوله عز وجل (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) يقول خلى عن قلوبهم ، وقرأ بعض السلف ، وجاء مرفوعاً إذا فرغ بالتين المعجمة ويرجع إلى الأول فإذا كان كذلك سأل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلوونهم ثم الذين يلوونهم لمن تحتهم حتى يقضى الخبر إلى أهل السماء الدنيا ، ولهذا قال تعالى (قالوا الحق) أى أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان (وهو العلى الكبير) . وقال آخرون بل معنى قوله تعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم) يعنى الشركين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة فى الدنيا ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة قالوا ماذا قال ربكم ؟ فقيل لهم الحق وأخبروا به . مما كانوا عنه لاهين فى الدنيا قال ابن أبى نجيب عن مجاهد (حتى إذا فزع عن قلوبهم) كشف عنها الغطاء يوم القيامة . وقال الحسن (حتى إذا فزع عن قلوبهم) يعنى ما فيها من الشك والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (حتى إذا فزع عن قلوبهم) يعنى ما فيها من الشك قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانهم وما كان يضلهم (قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير) قال وهذا فى بنى آدم هذا عند الموت أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقد اختار ابن جرير القول الأول أن الضمير عائد على

الملائكة وهذا هو الحق الذي لامرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار ، ولنذكر منها طرفا يدل على غيره قال البخارى عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان يده فحرفها ونشر بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فرجا أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » انفرد بإخراجه البخارى دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق قالا : حدثنا معمر أخبرنا الزهرى عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الأنصار فرمى بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وسلم « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية » قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . قلت للزهرى أكان يرمى بها في الجاهلية ، قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا حياته ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبغ حملة العرش ثم سبغ أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون » هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومقل بن عبيد الله أربعهم عن الزهرى عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل من الأنصار به وقال يونس عن رجال من الأنصار رضى الله عنهم ، وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهرى به ، ورواه الترمذى فيه عن الحسين بن حرير عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل من الأنصار رضى الله عنه والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرمادى والسياق لمحمد بن عوف قالا : حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء ابن حيوة عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحى ، فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة - أوقال رجفة - شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صمقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضى به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ، فيقول عليه السلام : قال الحق وهو العلى الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض » وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا ابن أبان المصرى عن نعيم بن حماد به وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وعن قتادة أنهما قرا هذه الآية ابتداء إحياء الله تعالى إلى محمد ﷺ بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية .

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ لَا تُسْتَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْتَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفِتَاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى مقرا تفرده بالخلق والرزق وانفراده بالإلهية أيضا فكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السماء والأرض أى بما ينزل من المطر وينبت من الزرع إلا الله فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره وقوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) هذا من باب اللف والنشر أى واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق لاسبيل إلى أن تكونوا أتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقننا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أتم عليه من الشرك بالله تعالى ولهذا قال (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) . قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين والله ما نحن وإياكم على أمر واحد إن أحد الفريقين لمهدد ، وقال عكرمة وزيد بن أبى مريم معناها إنا نحن لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين . وقوله تعالى (قل لا تستلون عما أجرمنا ولا تستلون عما تعملون) معناه التبرى منهم أى لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيدهِ وإفراد العبادة له فإن أجبتم فأتتم منا ونحن منكم وإن كذبتهم فنحن برآء منكم وأتم برآء منا كما قال تعالى (فإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) . وقال عز وجل (قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أتم عابدون ما أعبد * ولا أنا طابذ ما عبدتم * ولا أتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولى دينى) وقوله تعالى (قل يجمع بيننا ربنا) أى يوم القيامة يجمع بين الخلاق فى صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أى يحكم بيننا بالعدل فيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وستعملون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية كما قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون * وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) ولهذا قال عز وجل (وهو الفتح العليم) أى الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور . وقوله تبارك وتعالى (قل أرونى الدين ألحقتم به شركاء) أى أرونى هذه الآلهة التى جعلتموها لله أندادا وصيرتموها له عدلا (كلا) أى ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل . ولهذا قال تعالى (بل هو الله) أى الواحد الأحد الذى لا شريك له (العزيز الحكيم) أى ذوالعزة الذى قد قهرها كل شىء وغلبت كل شىء ، الحكيم فى أفعاله وأقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا والله أعلم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَشْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾

يقول تعالى لعبدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ تسليما (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) أى إلا إلى جميع الخلاق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) ، (بشيرا ونذيرا) أى تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) كقوله عز وجل (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) قال محمد بن كعب فى قوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس) يعنى إلى الناس عامة وقال قتادة فى هذه الآية أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم يعنى

ابن أبان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : إن الله تعالى فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا يا ابن عباس فبم فضله على الأنبياء ؟ قال رضى الله عنه إن الله تعالى قال (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وقال للنبي صلى الله عليه وسلم (وما أرسلناك إلا كافة للناس) فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس . وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما قد ثبت فى الصحيحين رفعه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » وفى الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال « بعثت إلى الأسود والأحمر » قال مجاهد يعنى الجن والإنس وقال غيره يعنى العرب والعجم والكل صحيح . ثم قال عز وجل مخبراً عن الكفار فى استبعادهم قيام الساعة (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وهذه الآية كقوله عز وجل (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذى آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) الآية ثم قال تعالى (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أى لكم ميعاد مؤجل معدود محرز لا يزداد ولا ينقص فاذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) وقال عز وجل (وما تؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نَرَىٰ فِي الْآيَاتِ مَوْقُوفًا ۗ هَٰذَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَّبِعَكُمْ إِلَىٰ أَعْيُنِكُمْ وَلَا تَرْصُقُونَ بِهِ إِلَّا أَصْوَابًا سَاهِيَةً ۗ إِنَّكُمْ لَكُنْتُمْ أَكْثَرًا جَاهِلِينَ ۗ ﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْحَنُ صُدَدًا نَّكِمًا عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ۗ وَأَسْرَأْنَا أَلْدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ ﴾

يخبر تعالى عن تمادى الكفار فى طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن الكريم وبما أخبر به من أمر المعاد ولهذا قال تعالى (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) قال الله عز وجل متهدداً لهم ومتوعداً ومخبراً عن مواقفهم الدليلة بين يديه فى حال تخاصمهم وتحاجهم (يرجع بعضهم إلى بعضهم القول يقول الذين استضعفوا) وهم الأتباع (للذين استكبروا) منهم وهم قادتهم وسادتهم (لولا أنتم لكانوا مؤمنين) أى لولا أنتم تصدوننا لكانوا يتبعنا الرسل وآمنوا بما جاءونا به ، فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا (أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذا جاءكم) أى نحن ما فعلنا بكم أكثر من أننا دعتموناكم فاتبعونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التى جاءت بها الرسل لشبهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا (بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أى بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً وتغروننا وتمنوننا وتجروننا أنا على هدى وأنا على شىء فاذا جمع ذلك باطل وكذب ومين ، قال قتادة وابن زيد (بل مكر الليل والنهار) يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار (إذا تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أى نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شياً وأشياء من المحال تضلونا بها (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أى الجميع من السادة والأبجاع كل ندم على ما سلف منه (وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) وهى السلاسل التى تجميع أيديهم مع أعناقهم (هل يحزون إلا ما كانوا يعملون) أى إنما نجازيكم بأعمالكم كل بحسبه للعقوبة وللأبجاع بحسبهم (قال لكل ضعف

ولكن لا تعلمون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الأصهباني عن أبي سنان ضرار بن سرد عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقاهم لها ثم لتحتهم لفة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب » وحدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا الطيب أبو الحسن عن الحسن بن يحيى الخشني قال ما في جهنم دارولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا اسم صاحبها عليها مكتوب قال فحدثته أبا سليمان يعني الداراني رحمة الله عليه فبكى ثم قال ويحك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجله والغل في يديه والسلسلة في عنقه ثم أدخل النار وأدخل المغار ؟ اللهم سلم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِندَنَا ذُلًّا إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ أَضْعَافٍ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَذَقْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ وأمره بالناسي بمن قبله من الرسل وخبره بأنه ما بعث نبياً في قرية إلا كذبه مترفوها واتبعه ضعفاؤهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام (أنؤمن لك واتبعك الأزدلون) (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) وقال الكبراء من قوم صالح (للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعملون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الدين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون) وقال عز وجل (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) وقال تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين ليمكروا فيها) وقال جل وعلا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) وقال جل وعلاهنا (وما أرسلنا في قرية من نذير) أي نبي أو رسول (إلا قال مترفوها) وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة ، قال قتادة هم جبابرتهم وقادتهم وراء وسهم في الشر (إنا بما أرسلتم به كافرون) أي لا تؤمن به ولا تتبعه ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هارون بن إسحاق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقى الآخر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل . فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلي عليه قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إلام تدعو ؟ قال « أدعو إلى كذ وكذا » قال أشهد أنك رسول الله . قال ﷺ « وما عليك بذلك ؟ » قال إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فنزلت هذه الآية (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) الآية قال فأرسل إليه النبي ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل قال فيها وسألتك أضعاف الناس اتبعه أم أشرفهم فزعمت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل . وقال تبارك وتعالى إخباراً عن المترفين المكذبين (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) أي افتخروا بكثرة الأموال والأولاد واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتناهم بهم وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيئات

لهم ذلك قال الله تعالى (أيجسبون أنما نمدم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال تبارك وتعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وقال عز وجل (ذري ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا معدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطعم أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا) وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تينك الجنة أنه كان ذا مال وثمر وولد ثم لم يغن عنه شيئا بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل ها هنا (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء ويعني من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى) أي ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا لكم . قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ، ولهذا قال الله تعالى (إلا من آمن وعمل صالحا) أي إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي تضاعف لهم الحسنه بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف (وهم في الغرفات آمنون) أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المعراء الكندي حدثنا القاسم وطى بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعد عن طى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها وبطنها من ظهورها » فقال أعرابي لمن هي ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » (والذين يسعون في آياتنا معاجزين) أي يسعون في الصدق عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته (فأولئك في العذاب محضرون) أي جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها مجسبهم . وقوله تعالى (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدا وله في ذلك من الحكمة مالا يدركها غيره كما قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في أعلى الدرجات وهذا في العمرات في أسفل الدرجات ؛ وأطيب الناس في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم « قد أفلح من أسلم وورق كفافا ووقعه الله بما آتاه » رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وقوله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث « يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك » وفي الحديث أن ملكين يصبحان كل يوم يقول أحدهما : اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول الآخر : اللهم أعط منقفا خلفا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنفق بلالا ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على مافي يده حذار الانفاق » ثم تلا هذه الآية (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على مافي يده حذار الانفاق » قال الله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وفي الحديث « شرار الناس يبايعون كل مضطر ألا إن بيع المضطرين حرام ، ألا إن بيع المضطرين حرام ، للمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله إن كان عندك معروف فعده على أخيك وإلا فلا تزده هلاكا إلى هلاكه » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أبي يونس الحسن بن يزيد

قال : قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه فإن الرزق مقسوم

﴿ وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقرّبوهم إلى الله زلفى فيقول للملائكة (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) أى أتم أمرتم هؤلاء بعبادتهم كما قال تعالى فى سورة الفرقان (أنتم أضلّتم عبادى هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل) وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام (أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) وهكذا تقول الملائكة (سبحانه) أى تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله (أنت ولينا من دونهم) أى نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء (بل كانوا يعبدون الجن) يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم (أ أكثرهم بهم مؤمنون) كما قال تبارك وتعالى (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا * لعنه الله) قال الله عز وجل (فالיום لا يملك بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا) أى لا يقع لكم نفع بمن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكرهكم، اليوم لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً (ونقول للذين ظلموا وهم المشركون (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) أى يقال لهم ذلك تقريبا وتوبيخا .

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُونَ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّنْ قَدْ كَفَرْنَا بِهِ قَدْرًا ضَلًّا لَوْلَا كُفْرُكُمْ لَبَدَأْنَا بِآبَائِكُمْ سُوءَ مَثَلٍ لِمَنْ كَفَرَ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ لِيَذُوبُوا فِي الْبُخْلِ وَالطَّرْفِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب لأنهم كانوا إذا تلى عليهم آياته بينات يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله ﷺ (قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كانت عبداؤكم) يعنون أن دين آبائهم هو الحق وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل ، عليهم وعلى آبائهم لعائن الله تعالى (وقالوا ما هذا إلا إنك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) قال الله تعالى (وما آتيناهم من كتاب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل إليهم نبيا قبل محمد ﷺ وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكننا أهدى من غيرنا ، فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه ثم قال تعالى (وكذب الذين من قبلهم) أى من الأمم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى من القوة فى الدنيا . وكذلك قال قتادة والسدى وابن زيد كما قال تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغشى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * أفلم يسروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة) أى وما دفع ذلك

عنهم عذاب الله ولا رده ، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله ولهذا قال (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أى فكيف كان عقابى ونكالى واتصارى لرسلى

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْءٍ وَفِرَادَىٰ لِّمِثْمٍ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون (إنما أعظمكم بوحدة) أى إنما أمركم بوحدة وهى (أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) أى تقوموا قياماً خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضهم بعضاً هل محمد من جنون فينصح بعضهم بعضاً (ثم تتفكروا) أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر فى ذلك ولهذا قال تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدى وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية فأما الحديث الذى رواه ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة ابن خالد حدثنا عثمان بن أبى العاتكة عن طى بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « أعطيت ثلاثاً لم يعطهن أحد قبلى ولا فخر . أحلت لى الغنائم ولم تحل لمن قبلى ، كانوا قبلى يجمعون غنائمهم فيحرقونها . وبعثت لى كل أحر وأسود ، وكان كل نبي يبعث لى قومه خاصة ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً أقيم بالصعيد وأصلى فيها حيث أدركتنى الصلاة قال الله تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفردى) وأعنت بالربع مسير شهر بين يدي » فهو حديث ضعيف الإسناد ، وتفسير الآية بالقيام فى الصلاة فى جماعة وفردى بعيد لعله متحتم فى الحديث من بعض الرواة فان أصله ثابت فى الصحاح وغيرها والله أعلم

وقوله تعالى (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال البخارى عندها حدثنا طى بن عبد الله حدثنا محمد ابن حازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك ؟ فقال « أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يصحبكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقونى » قالوا بلى ؟ قال صلى الله عليه وسلم « فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب تبالك ألهذا جمعتنا . فأنزل الله عز وجل (ثبت يدا أبى لهب وتب) وقد تقدم عند قوله تعالى (وأنذر عشيرتک الأقرين) وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن المهاجر حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبیه رضى الله عنه قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فنادى ثلاث مرات فقال « أيها الناس تدرون ما مثلى ومثلکم ؟ » قالوا الله تعالى ورسوله أعلم . قال ﷺ « إنما مثلى ومثلکم مثل قوم خافوا عدواً يأتهم فبعثوا رجلاً يترامى لهم فبينما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشى أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه ، أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتم » ثلاث مرات ، وبهذا الإسناد قال : قال رسول ﷺ « بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقنى » فمرد به الإمام أحمد فى مسنده

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِيهِ الْبَطُلُ وَمَا يُعِيدُ * قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾

يقول تعالى أمرأ رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين (ما سألتكم من أجر فهو لكم) أى لا أريد

منكم جملا ولا عطاء على أداء رسالة الله عز وجل إليكم ونصحي إياكم وأمركم بعبادة الله (إن أجرى إلا على الله)
 أى إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله (وهو على كل شىء شهيد) أى عالم بجميع الأمور بما أنا عليه من إخبارى
 عنه بارساله إياى إليكم وما أتم عليه . وقوله عز وجل (قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب) كقوله تعالى (يلقي
 الروح من أمره على من يشاء من عباده) أى يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض وهو علام الغيوب
 فلا تخفى عليه خافية فى السموات ولا فى الأرض وقوله تبارك وتعالى (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد)
 أى جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى (بل نقذف بالباطل فيدمغه
 فاذا هو زاهق) ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة
 حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن كان الباطل زهوقا) (قل
 جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وحده عند هذه الآية كلهم من حديث
 الثورى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سخرية عن ابن مسعود رضى الله عنه به ، أى لم يبق للباطل
 مقالة ولا رياسة ولا كلمة ، وزعم قتادة والسدى أن المراد بالباطل هاهنا إبليس أى أنه لا يخلق أحدا ولا يعيده ولا يقدر
 على ذلك وهذا وإن كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا والله أعلم . وقول تبارك وتعالى (قل إن ضللت فأنما
 أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربي) أى الخير كله من عنده لله وفيما أنزل الله عز وجل من الوحي والحق
 للبين فيه الهدى والبيان والرشاد ومن ضل فأنما يضل من تلقاء نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لما سئل
 عن تلك اللسطة فى المفوضة أقول فيها برأى فان يكن صوابا فن الله وإن يكن خطأ فنى ومن الشيطان والله ورسوله
 بريثان منه . وقوله تعالى (إنه مع قريب) أى سمع لأقوال عباده قريب يجب دعوة الداعى إذا دعاه ، وقد روى
 النسائى ههنا حديث أبى موسى الذى فى الصحيحين « إنكم لا تدعون أصم ولا غابئا إنما تدعون سميعا قريبا مجيبا »

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ
 مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
 كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد إذا فزع هؤلاء الكذبة يوم القيامة فلا قوت أى فلامفر لهم ولا وذر لهم ولا ملجأ
 (وأخذوا من مكان قريب) أى لم يمكنوا أن يعموا فى الهرب بل أخذوا من أول وهلة . قال الحسن البصرى حين خرجوا
 من قبورهم وقال مجاهد وعطية العوفى وقاتدة من تحت أقدامهم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك يعنى عذابهم
 فى الدنيا ، وقال عبد الرحمن بن زيد يعنى قتلهم يوم بدر والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى ، وإن
 كان ما ذكر متصلا بذلك ، وحكى ابن جرير عن بعضهم قال إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة فى أيام
 بنى العباس رضى الله عنهم . ثم أورد فى ذلك حديثا موضوعا بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب
 منه (وقالوا آمناب) أى يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى (ولو ترى إذا المجرمون ناكسو
 رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) ولهذا قال تعالى (وأنى لهم التناوش من
 مكان بعيد) أى وكيف لهم تعاطى الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة وهى دار الجزاء
 لا دار الابتلاء فلو كانوا آمنوا فى الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول
 الإيمان كما لا سبيل إلى حصول الشىء لمن يتناوله من بعيد . قال مجاهد (وأنى لهم التناوش) قال التناول لذلك . وقال
 الزهرى : التناوش تناولهم الإيمان وهم فى الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا ، وقال الحسن البصرى أما إنهم طلبوا
 الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : طلبوا الرجعة إلى الدنيا

والتوبة ممام فيه وليس بحين رجمة ولا توبة . وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله . وقوله تعالى (وقد كفروا به من قبل) أى كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل (ويقذفون بالقيب من مكان بعيد) قال مالك عن زيد بن أسلم (ويقذفون بالقيب) قال بالظن قلت كما قال تعالى (رجما بالقيب) فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ، ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد (ويقولون إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) قال قتادة ومجاهد يرجون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار وقوله تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) قال الحسن البصرى والضحاك وغيرهما يعنى الإيمان وقال السدى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) وهى التوبة وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله . وقال مجاهد (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل ، وروى نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع ابن أنس رضى الله عنهم وهو قول البخارى وجماعة والصحيح أنه لامنافاة بين القولين فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة فمنعوا منه . وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا أثراً غريباً عجيباً جداً فذكره بطوله فإنه قال : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر بن حجر الشامي حدثنا طلى بن منصور الأنبارى عن الرقى بن قطامى عن سعيد ابن طريف عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله عز وجل (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) إلى آخر الآية قال كان رجل من بنى إسرائيل فاتحاً إن يتح الله تعالى له مالا ثقات فورثه ابن له تافه أى فاسد فكان يعمل فى مال الله تعالى بمعاصى الله تعالى عز وجل فلما رأى ذلك أخوات أبيه أتوا الفتى فمدلوه ولاموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا مجاجة فسرح فيها ماله وابتى قصراً فبينما هو ذات يوم جالس إذ شملت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجاء أى ريحا فقالت من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا امرؤ من بنى إسرائيل قالت فلك هذا العصر وهذا المال ؟ فقال نعم . قالت فهل لك من زوجة ، قال لا . قالت فكيف هينك العيش ولا زوجة لك ، قال قد كان ذلك ، قال فهل لك من بعل ، قالت لا قال فهل لك إلى أن أتزوجك ، قالت إني امرأتك على مسيرة ميل فاذا كان غد فزود زاد يوم واثنى وإن رأيت فى طريقك هولاً فلا يهولك فلما كان من الغد تزود زاد يوم وانطلق فاتته إلى قصر قفر رتاجه فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجاء أى ريحا فقال من أنت يا عبد الله ، فقال أنا الإسرائيلي قال فما حاجتك ، قال دعنتى صاحبة هذا العصر إلى نفسها قال صدقت ، قال فهل رأيت فى الطريق هولاً ، قال نعم ولولا أنها أخبرتنى أن لا بأس على لهاتى الذى رأيت قال ما رأيت ، قال أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بكلبة فاتحة فاها ففزعت فوثبت فإذا أنا من ورائها وإذا جراؤها ينبحن فى بطنها فقال له الشاب لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان يقاعد الغلام الشبيخة فى مجلسهم ويسرم حديثه ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بمائة عز حفل وإذا فيها جدى يمصها فاذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئاً فتح فاه يلتمس الزيادة فقال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئاً فتح فاه يلتمس الزيادة ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بشجر فأعجبني غصن من شجرة منها ناضرة فأردت قطعه فنادتني شجرة أخرى يا عبد الله منى فخذ حتى نادانى الشجر أجمع يا عبد الله منى فخذ فقال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى إن الرجل ليخطب للمرأة فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهن ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل فاذا أنا برجل قائم على عين يعرف لكل إنسان من الماء فإذا تصدعوا عنه صب فى جرته فلم تعلق جرته من الماء بشيء ، قال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصى الله تعالى ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بعز وإذا قوم قد أخذوا بقوائمها وإذا رجل قد أخذ بقرنيها وإذا رجل قد أخذ بذنبها وإذا راكب قد ركبا وإذا رجل يحتلبها فقال أما العز فهى الدنيا والدين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها ، وأما الذى أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقاً . وأما الذى أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه ، وأما الذى ركبا فقد

تركها؟ وأما الذي يجعلها فيخرج ذهب ذلك بها ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل يمتح على قلب كلما أخرج دلوه صبه في الحوض فانساب الماء راجعا إلى القلب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل ينذر بنرا فيستحصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له . قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل مستلق على قفاه قال يا عبد الله: ادن مني فخذ يدي وأقعدني فوالله ما قدت منذ خلقتني الله تعالى فأخذت يده فقام يسعى حتى ما أراه فقال له الفتي هذا عمر الأبعد نقد ، أنا ملك الموت وأنا المرأة التي أتتكم الله تعالى بقبض روح الأبعد في هذا المكان ثم أسيره إلى نار جهنم قال ففبه نزلت هذه الآية (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) الآية هذا أثر غريب وفي صحته نظر ، وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا العرور المفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بغتة وحيل بينه وبين ما يشتهي . وقوله تعالى (كما فعل بأشياهم من قبل) أي كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلقت في عباده وخسر هناك الكافرون) . وقوله تبارك وتعالى (إنهم كانوا في شك مريب) أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلماذا لم يقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب : قال قتادة إياكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه . آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(تفسير سورة فاطر وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(اَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

قال سفيان الثوري عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها أي بدأتها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا (فاطر السموات والأرض) أي بديع السموات والأرض ، وقال الضحاك كل شيء في القرآن فاطر السموات والأرض فهو خالق السموات والأرض . وقوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا) أي بينه بين أنبيائه (أولى أجنحة) أي يطيرون بها ليلبغوا ما أمروا به سريعا (مثنى وثلاث ورباع) أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ولهذا قال جل وعلا (يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) قال السدي يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جريج في قوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) يعني حسن الصوت رواه عن الزهري البخاري في الأدب وابن أبي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذ (يزيد في الخلق) بالحاء المهملة والله أعلم .

(مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع . قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراذ مولى للغيرة بن شعبة قال إن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني المغيرة فكتبت إليه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد